

السَّيْفُ الْأَسْفَلِي
الزَّائِلُ فِي

السيف الاستي الراية في

صنعة

العلامة المرسدة الكبير الشيخ
حسن حامي الشامي الشاذلي الراية في
الكتاب ١٣٥١ هـ

مقدمه وفقره وفقره

عبد الحسي العطا

البكري

ومعه

الرسالة (الطبعة) في الراية (النقش)

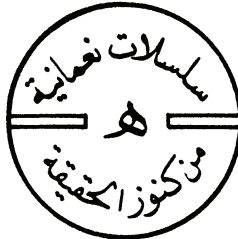
والصاحب: مؤلفها خالد الشاذلي الشاذلي

مقدمه وفقره وفقره

عبد الحسي العطا

البكري

دائرة النجاة للعلم



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
هَذَا كِتَابُ الْإِسْلَامِ

مقدمة الطبع



الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحقّ المبين، وأشهد أن سيّدنا محمّداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، المبعوث رحمة وهدى للموقنين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والمقتدين به، والمتبعين لهديه إلى يوم الدين، وسلّم تسليماً وفيراً كثيراً.

أما بعد؛ فإن من جُهل شيئاً عاداه كما هو معلوم بين العامة، ولكن المنصف العاقل لا يعادي ما يجهل؛ بل يترثّ في الحكم حتى يردّه البيان، ويتوقّف في اتخاذ موقف ما حتى ينجلي الأمر وتستبين حقيقته.

وأمر الرابطة عند النقشبندية أمرٌ دقيق؛ لا يكاد يدركه إلا من غاص في مداركه، أو مخّص في دقائق مأخذه. لذا كثر الاعتراض على أصحابها ووقع فيهم من لم يدرك مراميهم.

وقد انبرى أعلام ممن تبنّوا قضية الرابطة، فدافعوا عنها ووضّحوا أمرها بجلاء ووضوح، وجمعوا من أقوال ثقة أهل العلم ما أقام له موقف الدّفاع عنها، والتمسك بمواقفهم التي تبنّوها.

ولعل من أجل ما كُتب عنها هذا «السّفَرُ الأسنى» الذي جمع فيه مؤلّفه الشيخ المرشد حسن حلمي القحي ما اعتقد أن فيه كفايةً وبُلغةً، وقال في ختامه: هذا ما تيسّر لنا جمعه ووفّقنا الله لنقله، فمن لم يرضَ بهذا القدر فعليه الرجوع إلى المطولات.

هذا؛ وقد اعتمدنا في طباعة هذا الكتاب على نسخة مصورة عن نسخة خطية لعلها نسخة المؤلف!! - انظر نماذجها ص ٨٤٧ - وهي في ثمان وثلاثين ومئة صفحة من الحجم المؤلف (١٧,٥ x ٢٤,٥) سم ومكتوبة بخط معتاد؛ في كل صفحة منها حوالي عشرين سطراً، وفي كل سطر حوالي عشر كلمات. وقد أُرِّخ الفراغ من تأليفها في يوم الإثنين: الثاني عشر من شعبان سنة: إحدى وأربعين وثلاث مئة وألف.

ولعل من الطرائف أن تطبع في مثل اليوم الذي فرغ من تأليفها فيه!! وقد عارضنا هذه المطبوعة على الأصل بعد نسخها، ثم خرَّجنا أحاديثها مع عزو آياتها إلى مواضعها من المصحف، إضافة إلى رقمها وضبطها وبعض الضروريات من التعليق.

وقد شاء الله تعالى أن نقدّم بين يدي هذا الكتاب ترجمة موسّعة ومسهبة لمؤلّفها طالما كنّا قد وعدنا بها حتّى هيّاها الله تعالى - انظر ص ٩؛ بين يدي الترجمة؛ فما بعد -.

ثم استكمالاً للفائدة ألحقنا بهذا الكتاب رسالة أخرى في الموضوع ذاته - طالما تعرّض لذكرها المؤلّف؛ أو للنقل عنها - وهي للعلامة المرشد الكبير مولانا خالد النقشبندی، مع ترجمة وافية لمؤلّفها وجدنا من الخير طبّعها مع هذا الكتاب.

وهكذا نضع بين يدي أنصار الرابطة والمدافعين عنها، وبين يدي الباحثين والمهتمين بها مادّة جديدة تيسّر لهم الاطلاع والبحث، ومزيداً من الدراسة والتعمّق.

سائلين الله تبارك وتعالى أن يوفّقنا لما يحبّه ويرضاه، وأن يربط على قلوبنا ويثبت أقدامنا، وأن يلزمنّا طريق الهداية والسداد؛ إنّه أكرم مسؤول، وخيرُ مرجوٍّ ومأمول.

والحمد لله رب العالمين

عبد الجليل العطا البكري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به الحول والقوة
 الحمد لله الذي نزل الكتاب ولم يذر رطباً ولا يابساً ولا شيئاً ما كان
 ويكون إلا أدخل فيه والصلوة والسلام على محمد الذي نزل إليه
 وما أرسلنا إلا رحمة للعالمين وعلى آله واصحابه الذين
 اتبعوه بأحسن إلى يوم الدين أما بعد فيقول الفقيه حسن
 القمي في نقشبندی الساذي القادر رحمه الله أولاً أنه قد
 ورد فينا كقول غزواني من طلبه العلم الذي كان في سالف السنين في
 دائرة طريقنا والحال أنه ينصحنا وينصح سائر المسلمين بما اعتدوا
 من العلم وإن كان ما يعالجه من جهة ما له ففهمه وهو عندنا باب
 العلم من المشبهات فكتب أولاً بأن زيارة قبور الصالحين ثمالة يجوز
 والزوار شركوه وكتب له نقلاً ما قاله ابن القيم تليد ابن أبي عمير
 في الخاتمة اللهم في بيان مصائد الشيطان مع أن ذلك خلاف
 النقل والعقل والطيف على أنه من المذاهب الأربعة على
 رد ذلك القول الظاهر الخطأ وأخذ أيضاً من ذلك القول أن
 رابطة أهل التصوف عين ما قاله من أنه مشرك بذلك وأيد
 قوله أيضاً بما في المجالس له رشادية بأن رابطة الصوفية خطأ و
 الحال أن مؤلفه إنما قال ذلك لعدم علمه معنى الرابطة في اصطلاح
 حقه ولو علم لما قال ذلك بل كان يقول بحسنها والتمجيد بها

وكتب

لله واجعله سعيينا هذا شكورا وعملا مقبولا واجعله سببا لهدايته
 الخلق الى طريق الهدى لا سيما باعثة لزيادة الحسد والعناد فاذن علم
 ذلك قدير وباله جابة حمير
 فرغ الفقير من تأليفه في يوم الاثنين الثاني عشر من شعبان سنة
 ١٣٤١ وفقه الله له ولا يناله له تمام الرادان وقضاء الخواج ابي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيْنَ يَدَيِ التَّرْجُمَةِ

سبق أن أصدرتُ للمؤلف رحمه الله بضعة كُتُب قبل هذا ولم يكن بين يديّ آنذاك معطياتٌ وثائقية كافية لأقدم ترجمةً مستفيضةً ولا ثقةً بالمؤلف ، ولكنني كنت أتصيّد المعلومات من هنا وهناك ، فقدّمت عدداً من الكتب ولم يكن لديّ ما يشفي العليل من ترجمته ، وصدّرتُ هاتيك الكتب : (تنبيه السالكين ، تلخيص المعارف ، البروج المشيدة ، وسائل المريد «المكتوبات») بما وجدتُ من هذا الذي التقطته ، وكنت أعد بأن أتوسّع في كتب أخرى ، حتى آن الأوان فعثرت على هذه الترجمة الوافية مخطوطةً غير مطبوعة ، فاخترت هذا الكتاب لأثبتها فيه لأمرين :

الأول : أن الرابطة شيء شخصي تتناسب معه الترجمة الشخصية .

والثاني : أن الكتاب بحجمه اللطيف قابل للتوسّع في هذه الترجمة بمثل هذا الحجم .

وها أنا ذا أثبتُ الترجمة بحرفيّتها كما عثرتُ عليها في مخطوطها بعد أن ضبطتها ونقّحتها وعنونتُ فقراتها لسهولة الاستفادة منها وتوجيه الفكر لاستيعاب ما كُتب فيها . فإن كنتُ قد أصبتُ بفضل الله تعالى عليّ وعلى صاحبها (المترجّم له) ، وإن كانت الأخرى ! فهي جِبِلَّةُ العبد المقصّر مع ربه عزّ وجلّ . سائلاً المولى أن يرحم صاحبها وجامعها ويرحمنا وأحبابنا وأهلينا والمسلمين بوافر رحمته . آمين .

سلسلة المشايخ للطريقة النقشبندية في داغستان

[illegible]

ترجمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما توفيقي إلا بالله

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى ومصابيح الدنيا إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فلنكون ذكر السادات سبباً لنزول الرحمة ، والمحبة بهم وسيلة للوصول إلى الدرجة العلية ، والارتقاء إلى المراتب الجليلة الإلهية ، ووسيلة إلى الرسول سيد البرية ؛ أردت أن أبين آثار شيخنا وشيخ مشايخنا؛ قطب الإرشاد ، ومنبع الفيض والإمداد ، المشتهر في الأقطار والبلاد بإرشاد الخلق إلى سبيل الرشاد ، قطب الأولياء الرباني ، وإمام الطريقة الصمداني ، صاحب التأليفات المستطابات ، ومبين أسرار الطريقة العلويات ، وحيد زمانه وفريد أوانه ، مجدد الطريقة النقشبندية العلية ، والشاذلية السنية المصطفوية ، والطريقة القادرية الجبلانية ، ومحقق أسرار الطرق الحقيقية المحمدية والشريعة الأحمدية ، وحافظ السنن المختارة الاصطفائية ، المتورع في جميع أموره الدينية والدنيوية ، المتخلق بالأخلاق الحميدة الحسنة المختارة ، ذي الطبع السليم ، والمؤدب الحليم ، حاوي لمكارم والفضائل ، الحامي عن الغوائل والرزائل ، ذي الغيرة والمروءة والصبر على البلاء ، والرضاء على القدر والقضاء ، كثير الخفاء فيما وهبه الله تعالى من الكشوفات الإلهية والفتوحات الربانية ، المشمر في طلب العلم على ساعد الجذ والاجتهاد ، ولازم الأخذ والتلقي عن أبطال الرجال ذوي البصيرة والإمداد ، الفاني الباقي في الله ، العالم الفاضل البارع جامع الكمالات ؛ أبونا المعنوي :

حسن حلمي أفندي بن محمد بن حسين التحي الداغستاني النقشبندي الخالدي المحمودي المجددي والشاذلي الحسني والقادري الجيلي قدس سره وأفاض علينا من فيوضاته . آمين .

مولده ولد في قرية « قَجَب » من قرى ناحية « هَبْك » سنة ألفٍ ومِئتين وثمانين من هجرة خير البرية محمد المصطفى ﷺ .

نشأته وكان ابناً مسعوداً وطفلاً محموداً ، مباركاً ميموناً ، ذا أحوال حميدة ، وشمائل جميلة ، ذا عقل وغيرة كاملة وفطنة مريحة ، يغطه كل من رآه ، ويحبته كل من لاقاه ، وكان ذا أدب بلا تأديب ولا مؤدب ، وإن أباه المذكور الحاج محمد ؛ مات وهو في المهد في سفر الحج في بلد جدّة وقت الإياب ، ودُفن فيها قرب قبر أمنا وأم بني آدم الحواء رضي الله عنها ، وصار هو رحمه الله تعالى يتيماً في تربية الوالدة ، وأنها جزاها الله تعالى خيراً ربته بأكمل تربية ، وترعرع في نظرتها الحسنة العفيفة كما يرى الأولاد أهل الثروة والمعيشة الواسعة ، وكانت دليله إلى كل خير ، وممانعة من كل ضرر ، ومقدّمة لكل فضل ، وحافظة من كل ذل .

تلقية العلوم فلما بلغ إلى سبع سنين ابتدأ لقراءة القرآن بنفسه بلا داع ولا مهتد إليها ، فبعد تمام فرائضه وتصحيحه ابتدأ لطلب العلم ، واختار للتدريس العالم الورع المخلص والد صاحبه وخادمته القاضي «حسن بيك» ، وكان يقرأ الدرس معه صبيحة كل يوم ، ويذهب إلى الفضاء راعياً لأنعامهم ، ويأخذ الكتاب معه ، ويعلم الدرس إلى المساء ، ثم إذا رجع إلى البيت لا يخرج مع أقرانه إلى الأسواق ، ولا يضيق أوقاته بالتعطيل مع الصبيان ، ويعزل عنهم بالفراق ، وكان يكتب الدرس الذي يقرأ له في الصباح ، وكان له خطٌ جسيم حسن جداً ، وكتب كل ما قرأه من الكتب بخطه ، فاجتهد لتحصيل العلوم حتى كان لا ينام إلا قليلاً ، ويسهر الليالي نثيراً ، وكان لا ينام تحت اللحاف واللفاف بل يضطجع في حالة يكون نصف جسده حافياً حاسراً من الأمتعة ، كي يسهل له القيام في السحر .

وأنه أيضاً طلب العلم من العلماء الأجلة المخلصين الورعين ، فصار ماهراً حاذقاً في جميع العلوم والفنون بحيث يعترف له فحول العلماء والعقلاء لذكاء فهمه وعلمه وعقله ، وإن لاقاه أمير أو كافر خضعوا له وخشعوا ، وما بقي فيه مسلك من مسالك الكمالات إلا حازّه ، فإن سأله من مسائل العلوم ؛ وإن كان غريباً ، كان يجيب بأحسن جواب ويقول بلسان حاله : هل من مزيد؟! هذا منه مع صغره وقبل تمام نشأته ، ومع تجاهله عن كثير من العلوم .

ثم بعد ذلك في وقت تمام النشأة والبلوغ دخل إلى الوظيفة البهلوانية^(١) ، بسبب سر من أسرار الله تعالى قذفه جل وعلا إلى قلب والدته الزاهدة حين رأت بهلواناً حاذقاً بأن تريد أن يكون ابناً لها ، فأجاب الله تعالى لسر خاطرها ، ولما ظنّت في قلبها وفؤادها ووهب الله تعالى لها ابناً فائقاً منه ، وكان هو حاذقاً ماهراً في تلك الصناعة ؛ كأنّ ليس مثله في الوقت في تلك الوظيفة .

وكان يقرأ قبيل الصعود إلى الحبل سلسلة المشايخ وأسماء الأولياء ، ويعظ الناس ويتذكّر لهم أهوال القيامة ، ويمثل بالحبل المربوط للصراط ، ويقول : أيها الإخوان لا بد لنا من المرور مثل هذا الصراط يوم القيامة ، صعوداً وهبوطاً بلا ريب .

وقال واحد إذ سمع ما يقرؤه من أسماء المشايخ بأنه يكون من الأولياء المذكورين ، وأنه كان يبكي وقت الصعود إلى الحبل بكاءً شديداً خوفاً من الصراط ، وكان هو أيضاً يبكي في الخلوات والجلوات في أكثر الأوقات ويُبكي الحاضرين معه في المجلس ، فإذا تخلّى من الناس كان يبكي بكاءً شديداً وأوّه خوفاً من الله بتضييع الأوقات على هذه الوظيفة الخسيسة ، وأنه لم يفعل ذلك إلا لحكمة إلهية ، وكان ما يفعله من تلك الصناعة للهوية صورياً لا حقيقة ، وحصل له بسبب تلك الوظيفة ذلٌّ وانكسارٌ ؛ وإن كانت حلالاً ، لما في « التحفة » بهذه العبارة : وإن كان في الوظيفة صورٌ محرمة ، لكن ذات أنواع اللعب الخطرة الكائنة من الذين تغلب سلامتهم عنها حلال ، وكذا في الرملي ، وإذا مات يموت شهيداً ؛ كذا في « حواشي عبد الحميد الشرواني » رحمه الله ، وأن المعصية التي أورثت ذلاً وانكساراً خيراً من طاعة أورثت عزاً واستكباراً ، وبه قال أئمة الصوفية ، وأن الذنب للعبد قد يكون خيراً من الطاعة التي توقعه في العجب ، وبقاء العجب في الطاعة أكبر من كلّ سيئة ، ومن كمال حال الفقير الذي أراد الله أن يؤهله لتربية المريدين وإرشادهم وقوعه في بداية أمره في نية مخالفة ، وذلك ليصير عنده حلم على العصاة ، وصبر على تقويم عَوَجِهِمْ ، وأنّ من سبقت [له] العناية لا تضرّه جنابة ؛ كذا بيّنه رحمه الله تعالى في تصنيفاته بعد أن صار هو على منصب الإرشاد بفضل الله تعالى .

(١) هي لعبة على الحبل للتفث والتثؤ؛ يجتلب بها الرزق .

ملازمة الاستقامة ثم بعد ذلك نزل عن تلك الوظيفة ، ولازم على العلم والعبادة في حال شبابه ، وكان آثار الجذبات الإلهية وأنوار الهداية ظاهرة في جبينه ، واشتغل أولاً بتحصيل العلوم الظاهرة عند أجلّة علماء عصره المخلصين الورعين من أهل السنة والجماعة ، وفاق في ملازمته على جميع أقرانه ، وكان يحفظ جميع متون الكتب ، فإذا سئل شيئاً من أي علم يجيب ببيان الصحيفة والوجه والسطر ، وكان يعرب ويفسر مثل أعرب العرباء ، فمع كونه كذلك أعرف الأقران جميع فنون العلوم الظاهرة والباطنة ، كان يظهر فيه الجهالة وعدم العلم ، ويتفحص عن العلماء الذين كانوا أدنى منه درجات من العلوم من أسئلة العوام .

طريق سلوكه ثم بدى له في أثناء ذلك داعية الدخول في سلك سادات الصوفية المسلسلة من سيد الأمة ، وانبعث من باطنه شوقٌ صحبة الأولياء الكرام والمشايخ العظام ؛ أهل الطريقة المحمدية ذوي الاحترام ، ففي يوم حين كان هو متعلماً في قرية فلانية ذهب لدى واحد من مريدي الشيخ المرشد الحاج عبد الرحمان العسلي لتعليم الدرس فوجده يذكر الله بالذكر الخفي القلبى ، ويجزّ السبحة على قاعدة النقشبنديين ، فوقع المكالمة بينهما في تلك المثابة ؛ وقال له : إن شئت أدلك إلى من يرشدك ويهديك إلى هذه المرتبة ، فاشتاق بفضلته تعالى إلى لقائه وقصد الترحل إلى حضرته ، ففي تلك الليلة استخار الله تعالى في حق ذهابه لديه ؛ فرأى في المنام أن المسجد الذي كان هو فيه مملوء من القماش الأبيض ، وكذا رأى في هذه الليلة كأن ماء صافية تسيل من موضع الوضوء إلى المسجد ، فأول الواقعة إلى صلاحية الدخول في تربية المرشد المذكور العسلي ، فبعد صبح ذلك اليوم خرج باكراً زائراً إلى جناب حضرة الخليفة من سادات الصوفية قطب الإرشاد ومنيع الإمداد الحاج عبد الرحمان العسلي ، ولاقاه بالفرح والبشارة ببسط الوجه ونشطة الكلام . وقال الشيخ قدس سره : لم أفرح في عمري أزيد من هذا اليوم ؛ لأطلاع على أحواله الباطنية والظاهرية ، إن الله يعطي الحكمة من يشاء ، ما أحسن وأعجب فراسة الشيخ ؛ قد علم من أول رؤيته قدره وجلالته واستفادته منه ، وعلم الرابطة الشريفة والاستغفار والصلاة على كيفية النقشبنديين ، وساعتئذ قد علم حياة قلبه ، فبعد أيام قلائل ذهب ثانياً لدى حضرة الشيخ ، وتوجه إليه ولقنه الذكر القلبى ، وعلم حياة سائر اللطائف بحركة عجيبة وارتعاش أكيدة بذكر الله تعالى ، وكان المرشد العسوي أعلى الله درجته وأفاض علينا من فيوضاته يُربيّه أحسن تربية ويلاطفه ، ويحبه أشد حباً من سائر

المريدين ، ويقدمه ويشرفه على خواص أمنائه وأحيائه ، وريّاه إلى أن يصل إلى مراقبة السرّ التي يكون مشرب السالك [فيها] موسويّ المشرب .

وأجازه بالإجازة المطلقة في الطريقة النقشبندية الصّديقية في مجمع العلماء والعارفين من مريديه ، وأظهر علوّ مقامه وكراماته في ذلك المجلس مع كونه على خجل ووجل خاشعاً من الله تعالى يكاد أن تذوب أعضائه من شدة الحياء من المرشد والمريدين ، وكان خائفاً كارهاً أمر الإرشاد والخلافة ، لكونه رأى فيه عدم الأهلية لذلك المنصب العظيم ، وكان يقول : فلولا أن أمر الشيخ من واجب الاقتداء لما أجبته لذلك ؛ ولا أقبله ، بيد أنه لم يصحّ ردّ ما التزمه الشيخ ، فقبله على استحياء شديد ، فأمضى من بعده زمناً مديداً نحو سبع سنين بإخفاء هذا التصدّر عن الناس ، وتزهد في ذلك الزمن ولم يطلب من الدنيا إلا قدراً يسيراً بحيث يسدّ الرمق ، ولم يلبس إلا خرقاً ، ونهى النفس عن الهوى ، وانعزل عن الناس ولازم البيت ، وكان هو فقيراً ذا عيال ، وعلم الشيخ حقيقته ودعاه لديه فقال : إني جعلتك خليفتي وخليفة الرسول ، وسلطان السلاطين وأمير الأمراء ، وأعطيتك الدنيا والآخرة ، فأمر بالإرشاد وأكد الأمر به ، واستغنى كرات ومزات وكان يرده ؛ وقال : يا أستاذي ، لو رددت عني هذا الأمر العظيم لكنت في كهف خالٍ عن الناس مع العيال بترك العقار والمنقول !! وأكد الأمر ثانياً بحيث لا يمكن له بدّ لردّه ، وامتلأ أمره ، وقيل ذلك المنصب العظيم ، وأمره الشيخ بخلع تلك الملابس الخريقة ، ولبس اللباس الحسنه الجديدة ، وإرشاد الخلق إلى سبيل الحق ؛ وقال : أنت خليفتي ، فيذك يدي وقبولك قبولي . وقال : يا أستاذي لست أهلاً لهذا الأمر الرفيع . ثم أغلظ القول ؛ وقال : افعل ما تؤمر . ثم قبل قوله سمعاً وطاعة ، فبعد ذلك ابتدأ لإرشاد الخلق ، وقعد على سجادة الخلافة ؛ مستعيناً بالله العظيم ، ومستفيضاً من الرسول الكريم ، ومتوسّلاً بالسادات الكرام ؛ أهل الطريقة ذوي الاحترام .

انتشار أمره واشتهر أمره بين العباد ، وارتحل إليه كل من أراد السلوك إلى سبيل الحق حتى من أقصى البلاد ، فبعد ذلك قد كثّر المريدون الحاضرون ، وسعى إليه الطالبون من كل جانب ، وجاؤوا من القرى البعيدة والبلاد الشاسعة حتى أن صار الحاضرون في كل يوم جمّاً غفيراً ، واجتهد لهداية من لاقاه من الطالبين السالكين إلى تربيته لله تعالى ، ولأجل رسوله ﷺ ؛ امثالاً على قوله تعالى ﴿ وإن استنصروكم

في الدين فعليكم النصر» ، ولقوله ﷺ «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها» كذا في «الإحياء» في صحيفة (٩) ، وقال عليه السلام : « الدالُّ على الخير كفاعله » ، فبعد ترصده على هذا المنصب العظيم ذهب الشيخ الحاج عبد الرحمان العسوي قدس سره إلى الحج وفوض أمر الإرشاد إليه ، ومات هو رحمه الله في جُدَّةٍ إياباً بعد تمام الحج ، ودفن فيها عند قبر حواء رضي الله تعالى عنها وأفاض الله علينا من فيضه العميم ، وكان هذا السفر منه ثانياً إلى الحج .

لحقه بالشيخ شبيب الباكاني ثم بعد نقله من هذه الفانية إلى جوار رب البرية ذهب الشيخ حسن أفندي لدى الشيخ الشهير الحافظ الحاج شبيب أفندي الباكاني قدس سره ، وقبله بالتحية والإكرام ، ورباه بأحسن تربية وأوصله إلى المشرب المحمدي ، وأذن له بالإذن الصحيح ، وأجازه بالإجازة المطلقة كما أجازه أشياخه ، وكتب له صكَّ الإجازة في الطريقة النقشبندية العلية ، وانتقل الشيخ الباكاني إلى جوار رب العزة . قدس الله سره العزيز ، ونور الله ضريحه ، وأفاض علينا من فيوضاته .

لحقه بالتزكري ثم ذهب لدى حضرة القطب المستور مير سيف الله النقشبندي الشاذلي القادري الأوسي الحسيني التزكري الغازي غموفي قدس سره العزيز ، وقبله قبولاً حسناً وتفطماً منه بالرضاع المعنوي ، وصبَّ ذلك القطب الأعظم والشيخ الأكبر ما في صدره إلى صدر الشيخ حسن حلمي أفندي ؛ وقال : صَبَّيْتُ ما في صدري إلى صدرك .. وأجاز له في الطريقة الصَّدِيقِيَّة العلية ، والشاذلية السنية ، والقادرية الجيلية الجلية ، وفي جميع العلوم الظاهرة والباطنة ، والأحزاب المأثورة من أئمة الصوفية ، وفي « صحيح البخاري » و« مشكاة المصابيح » ، وفي « الحزب الأعظم والورد الأفخم » ، وفي « دلائل الخيرات » والطريق العالية ، و« البردة الشريفة » ، والأحزاب المنسوبة إلى العارف الشاذلي ، وحزب الإمام النووي و« حزب الدور الأعلى » للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي ، وسائر الفنون النقلية والعقلية ، وكتب الأحاديث الصحيحة المسلسلة ، وفي الطريقة العالية من طريق الحسن ؛ كما هو مذكور في الثبوت ، وفي سائر العلوم والأحاديث ؛ حتى لكتابة التمام والأسباب فيما لا يحصى عدُّه ، وأوصله إلى الدرجة العلية والمراقبات الأقربية ، وصار هو كائناً بئناً ، عرشياً فرشياً ، فإن بقي في الله .

وفاته التزكري ثم بعد ذلك انتقل الشيخ الأكبر والقطب الأعظم سيف الله قدس سره من هذه الفانية إلى الدار الأبدية الباقية ، ودفن في غزانش الأعلى ، نور الله مرقده وأفاض

علينا من فيوضاته . آمين . وكان قدس سره يقول قبيل خروج روحه هَيَّ آمَانُ حَسَنُ ما رأيتك ! جمعنا الله معك في دار السلام .

ثم تفرّد في ديار داغستان في المشيخة الصادقة الصديقية ، وتوحّد في الطريقة الشاذلية الحسنية العلية ، ولكن لم يُظهر الطريقة القادرية الجيلية لعدم وصول صكّ الإجازة من الشيخ المذكور المرحوم المغفور له ؛ وإن كان مجازاً فيها بالإجازة الصحيحة المطلقة ، وذلك لشدّة إنصافه وصفائه في الطريقة النبوية ، وإن الوثيقة وصكّ الإجازة ولبس الخرقة مما جرت به عادات سادات الصوفية المسلسلة من صاحب الشريعة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم .

وصار هو مجدّداً للقرن الرابع عشر ، وشهد له بذلك أشياخه المذكورون قبلُ ، وازدحم المريدون السالكون في الطريقة النقشبندية الخالصة من كدورات جهلة الصوفية ، وفي الطريقة السنية الشاذلية العلية في زاوية داره وعتبة بابه ، وأقرّ له العلماء والعقلاء والصّالحاء ، وانتشر صيته في الأقطار والبلاد ، وتواترت آثاره وأخباره بين العباد ، وجاء لديه من أراد الوصول إلى حضرة الخالق من بلاد الشرق والغرب ، ومن أبعد الطريق ، بل من كلّ فجّ عميق ، ولم يكن في داغستان من يعلم علم التصوف والسلوك .

بداية تصنيفه فبعد ترصّده على هذا المنصب العظيم قد طلع أنوار العلوم الباطنة اللدنية من صدره ، وأشرق شمس الهداية من جبينه ، وصنّف كتباً عديدة مستطابة بالعرب والعجم ، وبها حصّل للجهلاء علوماً ، وللعلماء فهوماً ، وشاعت العلوم الباطنية وآداب السلوك في جميع أقطار داغستان ؛ كما شاع ضوء الشمس في بسط الأرضين والسموات والآفاق والبلدان ، وتوجه إليه من النواحي الحوالية الخواصّ والعوام وفداً وفداً ، وأخذوا منه العهد فرداً فرداً ، وأرشد من حضر لديه بالنية الخالصة والاعتقاد الكامل صغيراً وكبيراً ، ذكراً وأنثى ، جاهلاً وعالماً ؛ فصاروا من الذاكرين الله والذاكرات كثيراً ؛ منهم عرشيّين فرشيّين ؛ واصليّين مواصليّين ، لا يشغلهم الخلق عن الحق ، والحق عن الخلق .

مريدوه وكان له من المريدين والمرادين من وصل إلى الولاية الصغرى والولاية الكبرى ، وإلى المشرب المجمدي ؛ إذا رأيتهم عجبتهم بالعبادة الخالصة السرية الصافية عن العجب والرّياء ، وأقرّ له كلّ معاند وملحد ، وكلّ عالم حاذق ، وسعّوا إليه بعد أن كانوا معاندين ومنكرين ، فكَم [من] عالم ذكي وفاهم لبيب كانوا يرسلون

الرسائل إليه بسبب طريقته وذم أخلاقه ؛ وإذا رأوه وجاؤوا لديه أقرؤا له ودخلوا في دائرة تربيته!! وأخذوا منه العهود ، ولازموا عليها ، ووصلوا إلى المراتب العلية ، وذلك من شدة تصرفه وقوة سرّه وسريته .

من أخلاقه وكان يتكلم مع من جاء لديه بالمدارة، ويحسن أخلاقه بحيث يوافق حاله ومآله ، وإنه كان لا يقبل إلا ما خفي وسُتِر ، ولا يأذن لإظهار الكشوفات والخوارق ، ويقول : الكشف حيض الرجال ومنصب الشيطان . وكان لا يُظهر ما ظهر له من الكشوفات الإلهية ؛ وإن كان هو أسبق الأولياء المكاشفين .

وكان ورِعاً لم يُز منه ما يخالف الشريعة ؛ ولو أدنى شيء . وكان ذا أخلاق حميدة ومناقب سديدة ، وطبع سليم وحياء حليم ، بارعاً حاذقاً في جميع العلوم ؛ نثراً ونظماً ، عرباً وعجماً . وكان بسيط الوجه نشيط النطق ، يحبه كل من رآه ، وقوراً حليماً ، سخياً جواداً ، مطابقاً مسماه باسمه ، معرضاً عن حب الدنيا وحب الجاه .

وكان محسناً لرياضة نفسه من قلة الأكل والنوم والقول ، وكثرة الصلاة والصدقة والصوم ، ومتصفاً بمحاسن الأخلاق ، وكان صابراً شاكراً ؛ متوكلاً قانعاً ، متواضعاً صادقاً ، ذا وفاء ووقار .

وكان رؤوفاً عطوفاً على الفقراء والمساكين والأيتام ، ذا مروّة وغيّة ، جميل الصوت مدوّر الوجه ، أبيض اللون مائلاً إلى السواد ، طويل اللحية كثيف الشعر قد ابيضّ ، نحيف الجسم معتدل القامة .

وكان تقياً نقياً ، فقيراً صابراً حُسينياً ، وكان ذا عيال وأولاد ، لا يطلب من الدنيا إلا قدرأ يسيراً حلالاً ، لا يقبل هدية إلا حقيراً مثل الكعك والرغيف .

وكان شديد المنّة ؛ كثير العفة ، وكان يزجر الأولاد والأحباب عن قبول الهدايا والإحسانات ، ويقول لهم : إني أريد أن أكون كالتيس ؛ ولا أريد أن أكون كالمعز . الإنسان عُبيد الإحسان .

وكان عادته إذا أحسن إليه المحسن بقدر عبّاس واحد يكافئه بعشرة عبايس بل أزيد منه ، وكان يقول على المريدين : هلاً تقسمون ما أهديتم إلينا للصدقة للفقراء والمساكين!! ولا يترك عنده ولو قدرأ يسيراً من الهدية ، بل يسلم ما جاء واحدٌ لآخر .

وكان قدس سره ساتراً لأحواله بحيث لا يقدر أحد أن يطلع على أحواله وأسراره ، وكان أكثر كلامه بالإشارة ، وكان يخبر بالمشافهة مع الإشارة الغربية ما سيقع بعد سنين ، وقد وقع الكل كما أشار . ذَكَرَ ذلك كثير من الناس إذ رأوا ما قاله عياناً .

تصانيفه وناهيك دليلاً لكمالهِ مُصَنَّفاته الحسَنات المباركات مثل : « تنبيه السالكين » عربياً وعجماً منظوماً ، و« تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ، و« خلاصة الآداب » و« البروج المشيدة » و« السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » ، و« سراج السعادات في سير السادات » ، و« الدرة البيضاء في رد البدع والأهواء » و« جهد المقل » ، و« مجموعة فتاوى أهل التحقيق في مسألة جمع الثلاث من التخليق » ، و« فيض الرحمان في كلام عبد الرحمان » وغيرها .

فبسبب تلكم المصنفات النفيسات اشتهرت طريقته في البلاد ، وتواترت أخباره بالإرشاد ، ونور العالم يثمن توجُّهاته العلية وأحواله السنية ، وزالت ظلمات الجهل والبدع بظهور تأليفاته المستطابات بعدما غشيت الأقطار والبلاد بالأهواء والمخترعات في الطرق المنيرات المصطفويات ؛ بزخارف المعاندين المنكرين المبتدعين المتشيخين المارقين ، وببركة علومه وآثار أنوار معارفه قلَّت البدعات وانهدمت المبطلات .

من توفيق الله له وأنه رحمه الله تعالى شَيَّد مصَنَّفاته بالمآخذ والنقول من الكتب المعتمدة الماثورة من أئمة الفقهاء والصوفية ، لكن لم يشر عليهم بالمطالعة على الكتب ، بل بما فتح الله له من العلم اللدني ، وأنه صَنَّف كتابه « البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة » مدة ثلاثة عشر يوماً بالتصنيف والتحرير ؛ مع تربية المريدين الواردين كل يوم أزيد من أربعين رجلاً ، وذلك بما فتح الله له وبتوفيقه .

هيئته وسمته وكان ذا هيئة عظيمة ، كثير البركة في شيمه ؛ لا يشبع أحد من كلامه وألفاظه ومعارفه القدسية ومن الجلوس معه ، كما لا يشبع أحد من مجلس رسول الله ﷺ من أقواله وأفعاله وسمته .

وكان قدس سره يحسن الظنَّ ويلين الكلام عهد كل أحد ، ولم يُصدِر منه البتَّة كلمة ؛ ولا كلاماً يسوء به ظنَّ أحد ما ؛ في أيِّ حال .

وكان يقول : إن أستاذي المرشد الحاج عبد الرّحمان العسوي قال لي قبيل

إعطاء الإجازة : يا ولدي ؛ لا تقل على أحد بما ينكسر به القلب ؛ وإن وجدت الزاني والزانية بالمواقعة ؛ إلا بالسؤال من الله تعالى بمنعهما من الفاحشة المحرمة . وأنه رأى امرأة في أيكته تأخذ وتسرق الخشبة اليابسة ؛ فضرب الفأس على الشجر مرات ، وتنحنح ليُسمع المرأة وليتركها تأخذ الحطب ، ولم يذهب لديها ؛ ولم يتكلم لثلاثا تستحي منه .

وكذا من شيمه وطبيعته أن يقول - على أحد الذي يعيب الناس عليه بارتكابه على الذنوب والمنكرات - : أحبك حباً شديداً ، لأجل كوني سمعت الناس يقولون بكونك تمنع وتحفظ من المحرمات كذا وكذا ، وإنّي أردت كون الناس يقولون مثل ذلك في حقك ، ويقول على مريده الصادق عند الذي يعيب عليه الناس : لِمَ تفعل كذا وكذا ؛ تنبيهاً له وإيقاظاً من الغفلة .

وأخرى : أنّ جاره سرق دجاجته وعلم سرقة على جاره الآخر ؛ فقال على ابنه : إنه سرق دجاجتك ، فأخبر الابن على أبيه ، فهذّد له وخوّفه ، وقال : لا تعلّم على السارق علّم سرقتها علينا وإياك وإياك أن تعلّمه .

وأيضاً : أخبر على رجل سارق من قرية أخرى بأنه سرق ثوري كذا في زمن كذا ، وبين صفته !! فقال ذلك الرجل : إنّ ذلك الثور سرقناه فنغرم لك ، فاصبر إلى أن أرجع إلى القرية ، فقال قدس سره : إنّ الثور الذي سرقتم لعله لم يكن ثوري !! وقال السارق : إني أعلم يقيناً كونه لكم .

وأخرى : كان الناس يعيبون عليه بإقامة الصلاة خلف الجاهل والفاسق؟! وقال : إني أقيم الصلاة خلفه لثلاث يسوء ظنه ؛ وإن وقع لي التردّد والإشكال ، فإن شك صحتها وظنّ إبطالها ؛ فهل لا يحتمل أدائها بعد الفراغ من صلاته بحيث لا يعلمه !! .

وأخرى : قال له واحدٌ : فإنّ مريدك يفعلون كذا وكذا من المحرمات والمحظورات ، فلم لا تقول عليهم بتركها؟! فقال : أنا الداعي إلى الله تعالى ؛ فإن قلت أمثال ذلك يفرون منّي ، فحينئذ أكون من الذين يمنعون الناس من الله عز وجل ، فذاك مما لا يجوز!! فإني قلت على واحدٍ منهم شيئاً يسيراً فلم يرجع إلينا بعده ، فلا يمكن لي إلا السؤال من الله تعالى ، ولم أقل على أحد إلى الآن : لِمَ فعلت كذا وكذا!! .